المدارس أيضاً مكتبة حافلة يقال إنها حوت خمسمائة ألف مجلد .

يقول دوزى[1] لم يكن فى كل الأندلس أميٌّ واحد يوم لم يكن فى أوروبا من يلم بالقراءة والكتابة إلا الطبقة العليا من القسوس ، وكان العلماء والأدباء والفلاسفة فيها يختلفون إلى مختلف المجامع — كالمجامع العلمية اليوم — للتفاهم والمناظرة .

وقد كان طلبة العلم من مسيحيي أوربا يفدون أفواجاً على جامعة قرطبة لتلقى العلم فيها ، وعن طريق هذه الجامعة الشهيرة انتقلت الفلسفة العربية إلى مختلف أقطار أوربا وظهر أثرها واضحاً بليغاً فى جامعات باريس واكسفورد ، وإيطاليا الشمالية وسائر أقطار أوربا الغربية[2] ومن الذين تأثرت الحركة الفكرية فى أوربا ببحوثهم ؛ كان أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد مولود قرطبة ؛ فقد ألف هذا العبقرى الفذ فى الفلسفة الطبيعية وفى المادة والقوة ، وقدم العالم ، والطب والرياضات والفلك ؛ وعدل تعاليم الفيلسوف أرسطاطاليس الفلسفية وفصل بها بين اللاهوت والعلم فحسبه قومه كافراً ونبذه بعضهم ولكن « لاوى بن جرسون » ترجم كتاباته إلى اللاتينية وشاركه فى ذلك ابن تربون فوصلت كتابات ابن رشد الفيلسوف العربى إلى العالم اللاتينى سنة ١٢٥٠ فاستند إليها الطبيعيون ، والعلماء ، والفلاسفة ، والاشتراكيون واعتمدها دانس سكوتس كما اعتمد أرسطو ؛ وحتى قال بعض علماء الغرب . إنما ابن رشد كان خميرة أوربا ، وقد رسخت قدمه فى جامعات شمالى إيطاليا ثلاثمائة عام ، ومن أتباعه بطرس أبو تسيس وجون جندن وأوربانس فى بولونيا ، وبولس فى فينيسيا سنة ١٤٢٨ م ، وكاجاتانوس النيسى حتى أن الفيلسوفة السيدة كسندرا فيدال دافعت عن ابن رشد[3] ، وقد تسربت فلسفته أيضاً إلى جامعتى بولونيا وبدوى[4] .

ومن مشهورى العرب والإسلام الذين نبغوا فى هذه المدارس أيضاً نذكر الطبيب ابن سيناء ، والفيلسوف الفارابى ، وابن باجه ، وسنعود لدراستهم فى غير هذا الصدد وفى غير هذا المكان .

(يتبع) خليل جمعة الطوال

(١) Dozy ; Hist.des Mus . d Espauge

(٢) تاريخ المسلمين فى أسبانيا : لدوزى و . مختصر التاريخ ولز .

(٣) ا ـ المستشرقون . ب ـ بحث لجيلر .

(٤) فلسفة ابن رشد و . دائرة المعارف البريطانية

بعد الوداع . . . !

للأستاذ محمد عبد الرحيم إدريس

بعد ذاكَ الوداع سرتُ وحيداً ... أذرعُ الأرضَ مستهاماً شريدا

يا لبؤس الوَداع يُطلقُ فى القلـ ... ـب اضطراباً وفى الخطى تقييدا

يالتلك الكأس المريرة أحسُو ... ها برغمى وأنثنى عربيدا !

يا لسخر الأقدار عند وداعى ... تسأل القلب أن يمضى وحيدا ؟!

وتعـدُّ الدِّيارَ لى وكأنى ... سألاقى بها حبيباً جديداً

كلُّ دار تزور عنى وتنأى ... أىُّ دار تضمُّ هذا الطَّريدا ؟

كلُّ دارٍ ما لم تكن أنت فيها ... ظلَّ يسقم الفؤاد العميدا

كل دار تَضيَّقتْنى وحيدا ... أطعمتْنى الأشجان والتنهيدا

* * *

يا رياح الشتاء هـذا شراعى ... قد رمى على يديك شهيدا

أبعديه عن كلِّ شطِّ عزاءٍ ... واقذفيه باليأس جهْماً عنيدا

أسلميهِ إلى العباب المدوِّى ... واطرَحيه عن الحياة بعيدا

أمطريه أسًى وظلمة ليلٍ ... وهَبيه صواعقاً ورعُودا

أو دعيه يمضى إلى الهمِّ طوْعاً ... إنه عن صخوره لن يحيدا

واحلى للفناء قلـبى وسُبِّى ... فوق هذا الصِّبا الوريف الوعيدا

وابعدى عن فمى كُؤُوس دموعى ... فلقـد أرتوى وأمضى سعيدا !

* * *

بعد هذا النَّوى دفنتُ بنفسى ... أملاً كنتُ أشتهى أن أردا

كنتُ أرجو أن لا أفارق على الدهـ ... ـر بغير الرَّدى عبوساً مريدا

كنتُ أرجو حتى غلاَّب المنيَّا ... تبذكرى تُضئ علينا الخلودا

غير أنى أرى سراب الأمانى ... ثمناً للفراقِ كان زهيدا !

(الأسكندرية) محمد عبد الرحيم إدريس